

من هو بوصيري العصر الحديث؟

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٧/٦ هـ. ش

تاريخ القبول: ١٣٩٠/٨/٢٨ هـ. ش

رقية تقوى فردود*

الملخص

قال الله تعالى: ﴿النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ لهذا فرض على المسلمين تكريم النبى صلى الله عليه وآله وسلم، خاصة فى عصرنا هذا، لنطمس على الهجمة الجاهلية للعصر الراهن، فعليه يريد هذا المقال أن يقدم شاعراً معاصراً يلقب ببوصيرى عصره، حيث يختص أكثر آثاره بفكرة نشر الدين الإسلامى، ومدح النبى صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا دراسة لعدد من آثاره حول مدح النبى صلى الله عليه وآله وسلم، لأنّ الباحثة تظنّ أن كثيراً من الكتاب لا يهتمون بهذا النوع من الشعر اهتماماً بالغاً، سائلة المولى عزّ وجلّ أن يجعل هذه الوجيزة نافعة للقراء الكرام.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

الكلمات الدليلية: يوسف ابن إسماعيل النبهاني، مدح النبى (ص)، الموشح.

*. طالبة فى مرحلة الدكتوراه بجامعة آزاد الإسلامية فرع علوم وتحقيقات بطهران، ايران.

taghavi2009@yahoo.com

المقدمة

يوسف بن إسماعيل النبهاني، الملقَّب ببوصيري عصره (١٣٥٠-١٢٦٥هـ / ١٨٤٩-١٩٣٢م) أديب، وشاعر، وصوفي من القضاة، ترجع نسبته إلى بنى نبهان من عرب البادية بفلسطين، استوطنوا قرية إجزم التابعة لحيفا في شمال فلسطين، وفي هذه القرية ولد يوسف ونشأ وتوفّي. بعد أن تعلّم بالأزهر واسطنبول، تنقل في أعمال القضاء، ورحل إلى القسطنطينية، وعيّن قاضياً بكوى سنجق من أعمال ولاية الموصل، فربّيساً لمحكمة الجزاء باللاذقية، ثمّ بالقدس، فربّيساً لمحكمة الحقوق ببيروت، وسافر إلى المدينة، وبعد أن نشبت الحرب العالمية الأولى، عاد إلى مسقط رأسه إجزم، وتوفّي بها في ٢٩ من رمضان.

نتاجاته

من تصانيفه الكثيرة: الشرف المؤبد لآل محمّد، وسائل الوصول إلى شمائل الرسول، أفضل الصلوات على سيد السادات، الأنوار المحمّدية، مختصر المواهب اللدنية، النظم البديع في مولد الشفيح، طيبة الغراء في مدح سيّد الأنبياء مع حاشيتها، الأحاديث الأربعين من أمثال أفصح العالمين، سعادة المعاد في موازنة بانة سعاد، حجة الله على العالمين في معجزات سيّد المرسلين، خلاصة الكلام في ترجيح دين الإسلام، سعادة الدارين في الصلاة على سيّد الكونين، رسالة في مثال النعل الشريف، صلوات الثناء على سيّد الأنبياء، قصيدة القول الحق في مدح سيّد الخلق، هادي المرید إلى طرق الأسانيد، قصائد السابقات الجياد في مدح سيد العباد، جامع الصلوات ومجمع السعادات، الفضائل المحمّدية، الورد الشافي مختصر الحصن الحصين، المزدوجة الغراء في الاستغاثة بأسماء الله الحسنى، الصلوات الألفية في الكمالات المحمدية، رياض الجنة في أذكار الكتاب والسنة، الاستغاثة الكبرى بأسماء الله الحسنى، المجموعة النبهانية في المدائح النبوية مع حاشيتها، الخلاصة الوفية في رجال المجموعة النبهانية، ومعجم الشيوخ. (النبهاني، ١٣٢٠ق، ج ٤: ٤٧١؛ الزركلي، ج ٨: ٢١٨؛ كحالة، ١٩٩٣م، ج ٤: ١٤٥؛ درنيقه، ١٩٩٦م: ٤٤٧-٤٤٤) وكما نرى كان أكثر هم الشاعر في إحياء سنّة النبي الأكرم صلى الله عليه



وآله وسلم، وفي الترمذى عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ أَحْيَى سُنَّتِي فَقَدْ أَحْبَبَنِي وَمَنْ أَحْبَبَنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ» وعن ابن عطاء: «مَنْ أَلَزَمَ نَفْسَهُ آدَابَ السُّنَّةِ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بنور المعرفة ولا مقامَ أشرفٍ من مقامِ متابعة الحبيب في أوامره ونواهيته وأفعاله وأخلاقه.» (النهاني، ١٣١٢ق: ٤١٥)

يوسف النهاني، قد تأثر من الشعراء الأقدمين خاصةً في مدح الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وله قصيدة مطوّلة على غرار «بانت سعاد» وسماها «سعادة المعاد في موازنة بانت سعاد» مطلعها (من البسيط):

هوايَ طيبة لا بيضاء عُطْبُولُ ومُنَيْتِي عَيْنُهَا الزرقاءُ لا النِيلُ
ويبيّن قصور الشعراء في مديحه صلى الله عليه وآله وسلم (من البسيط):
خاضوا بمدحك هذا البحرَ ما بَلَّغُوا كعباً فعادوا لهم بالعجز تخجيلُ
لكن لِكَعْبِكَ يا خيرَ الأنامِ على رُؤُوسنا ثابتٌ فضلٌ وتفضيلُ
عليك أزكى صلاةِ الله وهي لنا مسكُ الختامِ بها للخيرِ تكميلُ
وله تخميسٌ طويلٌ، جاء فيه (من الخفيف):

سَيِّدَ الرسلِ قدرُهُ معلومٌ أينَ منه المسيحُ أينَ الكليمُ
أينَ نوحٌ وأينَ إبراهيمُ كُـلُّهُم عن مقامِهِ مفظومُ

فَعَلِيهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ

أينَ جبريلُ أينَ إسرَافيلُ أينَ ميكالُ أينَ عزرائيلُ
فَعَلِيهِمْ طُرّاً له التفضيلُ وبمعراجِهِ دليلٌ قويمُ

فَعَلِيهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ

أينَ كُلُّ العوالمِ العُلُويَّةِ أينَ كُلُّ العوالمِ السفليَّةِ
أينَ كُلُّ الوَرَى بِكُلِّ مَرِيَّةِ إنّما فوقَهُ العُلَى العَظيمُ

فَعَلِيهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ

(النهاني، ١٣١٢ق: ٣)

والمديح النبوي يكون غرضاً لا يكادُ يخلو منه شعر شاعر؛ لأنّه صار لوناً من التعبير عن العواطف الإيمانيّة، وباباً من الأدب الرفيع، يصدرُ عن قلوبٍ مفعمةٍ بالصدق

والإخلاص. وقد توالى أشعارُ المسلمين في النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، في شتّى العصور، من العصر الإسلاميِّ الأوَّل، الأمويِّ، العبَّاسيِّ، والدويلات وحتى العصر الحديث. وأصبحنا نجدُ في العصور المختلفة بعد الإسلام، نزعةً عارمةً عند الشعراء للتغنّي بشخصيّة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، والتعريف بسجاياهُ وفضائله الحميدة، باعتباره المثل الأعلى، والإنسان الكامل، وأفضل الخلق، ورسول الله تعالى، الذي بعثه رحمةً للعالمين، ومنقذاً وهادياً للإنسانيّة جمعاء.

ليوسف بن إسماعيل النبهاني ثلاث موشحاتٍ في مدح النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، قد جاء بها في آخر كتابه "المجموعة النبهانية في المدائح النبوية" بعد عن جمع فيه موشحات سائر الشعراء في آخر هذا الكتاب. وفي هذه المقالة تم اختيار إحدى موشحاته لقلّة حجمه ووضوح ألفاظه وجزالته، حتى نبحت عنها بإذن الله تعالى، راجية أن تكون مقبولاً عند قرائنا الأعزاء، فهي لاميّته التي أنشدتها معارضاً لموشحة أبي عبيد التي مطلعها:

لذّلي
فأجتلي
مدحُ النبي المصطفى المُرسَلِ
عرائساً من مدحِهِ تنجَلِي

(النبهاني، ج ٤: ٤٢٥)

جديرٌ بالذكر أنّ موشحة يوسف بن إسماعيل النبهاني، موشحة تامّة، لأنّها تبدأ بالقفل أو المطلع وكل بيتٍ فيه يتشكل من دور، ذي ثلاثة أغصان وقفل ذي سمطين، وتكون الموشحة في بحر السريع مع حذف مستفعلين، مطلعها:

إرؤلى
واجلُ لي
قد علا
وانجَلِي
وأعتلي
والعلي
إذ ولي
مدحُ النبي الخاتم الأوَّلِ
كأس الصفا من حُبهِ قد مُلِي
حتى رقى السبع الطَّباق العُلا
لَهُ مَقَامُ القُرْبِ فَوْق المَلا
برُوحِهِ والجِسْمِ حَتَّى اجْتَلِي
قَدْ خَصَّهُ بِكُلِّ وَصْفٍ عَلِي
مِنْ نَظْرِ التَّقْدِيسِ مَا قَدْ وَلِي



الأمِينِ
وَالْمُعِينِ
لَاتِمِينِ
أَجْمَلِ
لَاتَلِي
مَنْ سَمَا
وَأَتَنَّمَى
إِذْ هَمَى
أَمَلِ لِي
إِنْ لِي
جَبْرِيْلُ
وَالْخَلِيْلُ
لَا مَثِيْلُ
وَأَشْمَلِ
مَا مَلَى
الْكَلِيْمِ
وَالنَّعِيْمِ
وَالكَّرِيْمِ
هَاتِ لِي
وَارْحَلِ
المَّسِيْحِ
فِي الصَّحِيْحِ
يَسْتَمِيْحِ
أَقْبَلِ
وَاسْأَلِ

أَحْجَمَ عَن صُحْبَةِ طَهَ الْأَمِينِ
صَاحِبَهُ حَيْثُ انْقَطَاعُ الْقَرِيْنِ
إِنْ قُلْتَ هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِيْنَ
فِي حَقِّهِ الْأُمْدَاحُ أَوْ فَصَّلِ
بِالْمَدْحِ مِنْهُ حَبَّةَ الْخَرْدِ
غَيْرُ أَبِي الزَّهْرَاءِ فَوْقَ السَّمَاءِ
لِرُؤْيَا الْحَقِّ بَطْرَفِ نَمَا
عَلَيْهِ مِنْ سُحْبِ الرِّضَا مَا هَمَى
فَمَدْحُ خَيْرِ الْخَلْقِ لَمْ يُمَلِّ
قَلْبًا بِحُبِّيهِ غَنَى مَلَى
سَيِّدُ أَمْلاكِ السَّمَاءِ الْجَلِيْلِ
أَفْضَلُ رُسُلِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ جِيْلِ
مِنْ ذَا وَذَا لِأَحْمَدٍ لَامَثِيْلُ
سِوَاهُمَا فِي الْعُلُوِّ وَالْأَسْفَلِ
مَا فَوْقَهُ إِلَّا إِلَهُ الْعَالِي
أَجَابَهُ بِلَنْ تَرَانِي الْكَرِيْمِ
بِرُؤْيَا الرَّحْمَنِ لِابْنِ الْحَطِيْمِ
قَدْ خَصَّهُ بِكُلِّ فَضْلٍ عَظِيْمِ
كَالْمُضْطَفَى فِي فَضْلِهِ الْأَكْمَلِ
لِلْعُلُوِّ مَهْمَا شِئْتَ أَوْ فَانَزَلِ
يَقُولُ أُمَّ وَذَا الْمَقَامِ الرَّجِيْحِ
يَسْجُدُ لِلَّهِ بِحَمْدِ فَسِيْحِ
يُجِيبُهُ الْمَوْلَى بِقَوْلِ فَصِيْحِ
وَاشْفَعْ بِمَنْ تَخْتَارُهُ أَقْبَلِ
أَعْطِيكَ مَهْمَا شِئْتَ مِنْ مَامَلِ



مَثَلُ حَبِيبِ اللَّهِ بَيْنَ الْوَرَى	لَنْ تَرَى
نَظِيرُهُ مَوْلَاهُ فَيَمَنْ بَرَا	مَا بَرَا
فِي الْكُونِ مِنْ آيَاتِهِ مَا جَرَى	قَدْ جَرَى
أَهْدِيكَ لِلآذَانِ خَيْرَ الْجَلِي	إِصْغِ لِي
مِنْ آيَةِ بَدْرِ الرَّشَادِ الْجَلِي	وَاجْتَلِ
أَحْيَا بِهِ مُرْسَلُهُ مِنْ أُمَّم	كَمْ وَكَمْ
مِنْ قَادَةِ الشَّرْكِ فَصَارُوا رَمَم	وَأَنْتَقَم
بِسَيْفِهِ الْمَشْهُورِ تِلْكَ الظُّلْم	وَأَنْقَصَم
نُورُ الْهُدَى مِنْ دِينِهِ وَاجْتَلِي	إِذْ جُلِي
إِنْ شِئْتَ مِنْ قُرْآنِهِ الْمُنْزَلِ	وَاسْأَلِ
يَا رَحْمَةَ اللَّهِ إِلَى الْعَالَمِينَ	يَا أَمِينَ
دِينِكَ دِينَ الْحَقِّ حَقَّ مَبِين	خَيْرُ دِينَ
بِغَيْرِهِ وَاللَّهُ نِعَمَ الْمُعِينِ	لَا أَدِينُ
خَتَامَ خَيْرِ حَسَنِ أَكْمَلِ	سَلَّهُ لِي
أَهْلِي وَأَحْبَابِي وَمَنْ يَدْعُ لِي	وَاجْمِلِ



أفكار الشاعر

تنبعث أفكار الشاعر عن عقيدته الدينية والإسلامية، كما هو الحال في كل موشحاته، وعمد فيها إلى مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويذكر مناقبه مشيراً إلى الآيات الإلهية والكلام النبوي الشريف، ويبيّن فضائل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم باعتباره المثل الأعلى، وأفضل الخلق ثم يُشير إلى معجزات نبينا الأكرم وقد اختص الله بمعجزاته أنبياءه تأييداً لما أرسلهم به من تبليغ رسالته الوحدانية والألوهية، ومن معجزات محمد صلى الله عليه وآله التي أشار إليها الشاعر منها ليلة المعراج، والله سبحانه وتعالى أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وآله وسلم زمناً من الليل بجسده وروحه، يقظة لامناً، من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بيت المقدس

الذي بارك الله حوله بالزرع والأثمار وغير ذلك، ويصل النبي الأكرم (ص) إلى مقام القرب الإلهي الذي أعلى من كل الخلق والملائكة، ومعجزة القرآن الذي أنزله الله إلى نبيه هدىً ورحمةً للمؤمنين، وسبباً وذريعةً لهداية الناس أجمعين، وانهدام قادة الكفر والشرك، وفي هذه الموشحة يشير الشاعر إلى قصة موسى عليه السلام عندما يدعو الله سبحانه وتعالى، لرؤيته قائلاً: ﴿قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن أنظرُ إلى الجبل فإن استقرَّ مكانه فسوف تراني فلما تجلَّى ربه للجبل جعله دكاً وخرَّ موسى صعقاً﴾ (الأعراف: ١٤٣)

ويتحدث الشاعر عن شفاعته النبي الأكرم (ص) في يوم الحشر، اليوم الذي كل الناس وحتى الأنبياء، يفكرون كيف يستطيعون أن يطلقوا أنفسهم من عذاب الله عز وجل، بينما رسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يدعو ويتمنى من الله سبحانه وتعالى شفاعته أمته، وفي نهاية موشحته يقرُّ بأنه لا يعتنق أي دين آخر إلا دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو دين الإسلام، ويتمنى من الله تبارك وتعالى لنفسه ولأهله، عاقبة الخير في الدنيا والآخرة.

عواطف الشاعر

عندما نخوض في هذه الموشحة الجميلة سنواجه منذ البداية، كلمات الرحمة والمحبة والشوق التي تنبعث عن عواطف الشاعر الجليل لنبيه الأكرم (ص)، فلذلك يبحث إلى مدح النبي وبيان فضائله، وتعنى الرحمة أيضاً المودة، كما قال تعالى: ﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة﴾ (الحديد: ٢٧)

وأما المحبة فهي إرادة ما تراه أو تظنه خيراً، وهي على ثلاثة أوجه: محبة للذة كمحبة الرجل المرأة... ومحبة للنفع كمحبة شيء يُنتفع به... ومحبة للفضل كمحبة الناس، رسولهم أو كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض. «وللمحبة طرفان محبة الله تعالى للعبد إنعامه عليه، ومحبة العبد له طلب الزلفى لديه.» (الأصفهاني، لاتا: ١٠٥)

وما هي إلا مشاعر صادقة للنبي الأكرم (ص) تنبع من القلب الطاهر لتسييل على القلوب العطشى لترويهم حباً وحناناً وعظماً.

عنصر الخيال

استعمل الشاعر للتأثير الكثير فى نفوس السامعين والقراء البديعيات كالجناس والطباق، كما نراه فى قوله: «بين، علا والعلا؛ سما والسما؛ انتمى ونما، جناس اشتقاق وبين تميم والعالمين، أمل لى ويملل، ترى والورى، جناس مردوف، وبين المعين والقرين، الخليل وجيل، جناس متوج، وبين أقبل وأقبل جناس محرف، وبين ما براً وبراً، جناس السلب موجوداً.

وفى بعض الأبيات يستعمل من الطباق "كالخاتم والأول، أجمل وفصل، العلو والأسفل" ويبرز الشاعر العاطفة فى ثوبها الجديد، ويجلّيتها بوضوح تام، راسماً مشاعره وأحاسيسه بصورة قويّة قادرة على نقل المشاهد (الصور) إلى وجدان المستمع أو القارئ كما أدركها الأديب نفسه، فحين تُظهر محاسن النبى الأكرم (ص) وتسمعها الآذان بأنغامها الموسيقية الموزنة، تؤثر فى نفوس السامعين. ومن أنواع الصور المستخدمة فى هذه الموشحة، الاستعارة ولها الفضل الأكبر فى التصوير الفنى للعاطفة وانتقالها من ضمير الأديب إلى المخاطبين والقراء، والاستعارة المكنية على سبيل المثال فى أرو لى مدح النبى، حيث شبه مدح النبى إلى الخمر، ثم حُذف المشبه به، وجاء من لوازمه وهو فعل إرو، وفى «قد جرى فى الكون من آياته ما جرى» قد شبه الشاعر آيات الممدوح بالنهر، ثم حُذف المشبه به وبقي من لوازمه وهو فعل «جرى».

والاستعارة المصرحة فى «كأس الصفا من حبة وبدر الرشاد الجلى ونور الهدى». واستعمل الشاعر هناك من التشبيهات والكنائيات فمثلاً قوله: «بطرف نما» كناية عن البصيرة و«أحيا به مُرسله من أمم» كناية عن يقظة وانتباه الأمم من الغفلة بواسطة نبئهم.

موسيقى الشعر

اختار الشاعر فى هذه الموشحة، بحر السريع الذى يناسب مع غرضه مدح النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وأكثر فى استعمال الجناس والطباق، لإنجاز الموسيقى والصوت والحنين عن طريق تشابه الحروف، واستعمل من الألفاظ الفصيحة والسهلة لإظهار



أحاسيسه وعواطفه.

النتيجة

حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذوى القربى من لوازم الإيمان والعقيدة، ومن خصائص الحب أن يظهر أثره على جسم الإنسان وملامحه، وعلى قوله وفعله بصورة مشهودة وملموسة، كما نراه فى موشحات يوسف بن إسماعيل النبهانى التى عمد فيها إلى مدح النبى (ص) وذكر مناقبه مشيراً إلى الآيات الإلهية، والكلام النبوى الشريف ولا شك أن هذه المحبة ومظاهرها عين التوحيد والإقرار بعبودية الله تعالى ووحدانيته.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

انوار، سيدامير محمود. «تأثير الإسلام على أدب الرثاء». فصلية دراسات الأدب المعاصر. صيف

١٣٨٩ش. العدد ٧. صص ١٩-٤٠.

الإصفهاني. لاتا. المفردات. طهران: المكتبة المرتضوية.

درنيقة. ١٩٩٦م. معجم أعلام شعراء المدح النبوى. بيروت: دار المكتبة الهلال.

الزركلى، خير الدين. لاتا. الأعلام. بيروت: دار العلم للملايين.

كحالة، عمر رضا. ١٩٩٣م. معجم المؤلفين. مؤسسة الرسالة.

النبهاني، يوسف. ١٣١٢ق. الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية. بيروت: دار الفكر.

النبهاني، يوسف. ١٣٢٠ق. المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية مع حاشيتها. بيروت: لانا.